

أضواء البيان

@ 43 لا حجر عليهم ، كما أن المنفك لا حجر عليه ، وهو لم يقل مفكوكين ، بل قال : منفكين ، وهذا أحسن ، إلى أن قال : والمقصود أنهم لم يكونوا متروكين لا يؤمرون ولا ينهون ولا ترسل إليهم رسل . .

والمعنى : أن لا يخليهم ولا يتركهم ، فهو لا يفكهم حتى يبعث إليهم رسولا ، وهذا كقوله : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } ، لا يؤمر ، ولا ينهى ، أي : أيطن أن هذا يكون ؟ هذا ما لا يكون ألبة ، بل لا بد أن يؤمر وينهى . .

وقريب من ذلك قوله تعالى : { إِنْ زَلَّ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } * وَإِنْ زَلَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّيْ * حَكِيمٌ * أَفَنْصَرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ مَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ } . وهذا استفهام إنكار أي لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر ، ونعرض عن إرسال الرسل . .

تبين من ذلك كله أن الأصح في (منفكين) معنى (متروكين) وبه يزول الإشكال الذي أورده الفخر الرازي ، ويستقيم السياق ، ويتضح المعنى ، وبالله تعالى التوفيق { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَاتُ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مَّطَاهَرَةً } . أجمل البينة ثم فصلها فيما بعدها { رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا } . . وفي هذا قيل : إن البينة هي نفس الرسول في شخصه ، لما كانوا يعرفونه قبل مجيئه ، كما في قوله : { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَتَمَدُّ } ، وقوله : { يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ } . .

فكأن وجوده صلى الله عليه وسلم بذاته بينة لهم . . ولذا جاء في الآثار الصحيحة أنهم عرفوا يوم مولده بظهور نجم نبي الختان إلى آخر أخباره صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا ، وكذلك المشركون كانوا يعرفونه عن طريق أهل الكتاب ، وبما كان متصفًا به صلى الله عليه وسلم ، ومن جميل الصفات كما قالت له خديجة عند بدء الوحي له وفزعه منه : (كلا واللَّه لن يخزيك الله ، واللَّه إنك لتحمل الكل) وتعين على نوائب الدهر) إلى آخره . . وقول عمه أبي طالب : (واللَّه ما رأيته لعب مع الصبيان ولا علمت عليه كذبة) إلخ . وقد لقبوه بالأمين .